فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

الإخلاص وأحلى حياة

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-75987.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

قصة نجار

يروى أن نجارًا ماهرًا كان لا مثيل له في روعة صنعته وقد تقدم به العمر وطلب من رئيسه في العمل وصاحب المؤسسة أن يحيله إلى التقاعد، ليعيش ما تبقى من عمره مع زوجته وأولاده، في البداية رفض صاحب العمل طلب النجار، وحاول أن يغريه بالاستمرار في عمله عن طريق زيادة راتبه، إلا أن النجار رفض وأصر على طلبه، وعندما لم يجد صاحب العمل مفر من إجابة طلبه حاول أن يحصل على مكسب أخير من هذا النجار، فقال له لي رجاء أخير، أريدك أن تبنى منزلًا أخيرًا تربح منه المؤسسة ثم بعد ذلك سوف أحيلك للتقاعد، وافق النجار وبدأ في عمله ولعلمه أن هذا هو البيت الأخير الذي سيبنيه لم يحسن النجار صنعته وأسرع في الانتهاء دون تحقيق الجودة المعروفة عنه في السابق.

وعندما انتهى النجار العجوز من البناء سلم صاحب العمل مفاتيح المنزل الجديد، وطالب منه السماح بالرحيل كما هو الاتفاق إلا أن صاحب العمل فاجأه وقال له هذا المنزل هديتي لك تعويضًا عن بيتك القديم المتهالك ونظيرًا لعملك مع المؤسسة بإخلاص وتفاني. النجار صُعق من المفاجأة! لو كان يعلم هذا النجار أنه سيبنى هذا المنزل لنفسه لما توانى في الإخلاص في أداء العمل، سبحان الله!.

إخواني وأخواتي في كل حلقة من حلقات البرنامج كنا نتكلم عن كيفية استشعار عبادة معينة، اليوم الأمر مختلف، سأتكلم عن عبادة إذا أتقنتها فسوف تتلذذ بجميع العبادات، وعلى هذا فيمكنك أن تعتبر هذه الحلقة من أهم حلقات البرنامج هذه العبادة هي الإخلاص.

أحلى حياة

إذا طبقت قوانين الإخلاص فستعيش أحلى حياة، ليس مع العبادات فقط، بل مع كل حركة في حياتك، أذكر أننا أقمنا في السابق دورة عن الإخلاص، يقول أحد المشاركين فيها "والله لذة الإخلاص لا توصف، اليوم أول مرة أعرف أنها هكذا"، شخص آخر كان يبعث لي رسالة بالهاتف يقول فيها "أنا الآن في قمة السعادة.. والله هذه هي حلاوة الإيمان"، آخر مشاركة اسمحولي أقولها لكم هي من أحد الشباب يقول: "والله إن الإحساس لا تصفه الكلمات، إذا كانت هذه هي البداية فكيف بما سيأتي". انتهى كلامه.

إي والله ما أحلى الإخلاص! صدقني والله لن تجد شيء في قلبك أحلى ولا ألذ من الإخلاص.

معنى الإخلاص:

الإخلاص أن تكون أعمالك كلها لله، وعباداتك كلها لله لا رياء ولا سمعة، فأنت تحسن إلى والديك سواء فضلوك على إخوانك وأخواتك أو أنهم فضلوا إخوانك عليك، لا يهم.

أنت تتصدق على الفقراء سواء عرف الناس أم لم يعرفوا أهم شيء أن يكون الله تعالى قد علم بي، أهم شيء أن الملائكة سجلت عملي ثم بعد ذلك لا يهمني أحد، لا تظهر حسن أخلاقك مع أصحابك أو أهل زوجتك لكي يحسنوا التعامل معك، لا؛ بل أظهر لهم أخلاقك سواء أحسنوا إليك أو لم يحسنوا إليك، أهم شيء هل الله راضٍ عني أم لا؟ إذا كنت قد أرضيت الله فكل شيء سواه لا يهم.

إذا صح منك الود فالكل هيـــن وكل الذي فوق التراب تـرابُ

فـليـتك تحلــو والحيـــاة مريـرة وليـتك ترضى والأنـام غضـابُ

وليـــت الذي بيني وبينك عـــامر وبيني وبين العالـمين خـــرابُ

المخلوق لن يعطيك قدرك

إي والله.. ما الذي تريده من الناس؟ أهم شيء أن تدخل أنت الجنة حتى لو ما دعاك أحد لا يهم سواء عرف المدير أنك مجتهد أم لا، سواء عرف المسئول أنك لم تخطئ أو لم يعرف، في النهاية ألست متأكدًا أن الله تعالى يعلم عنك؟ فقط هذا هو المطلوب، المخلوق لن يعطيك قدرك، لن يعطيك حقك، أما ربنا سبحانه وتعالى فإنه أكثر من يعلم عنك ويعلم ماذا تستحق وهو سيعطيك أكثر مما تستحق قال تعالى "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" الأنعام: ١٦٠

إذا كنت دائمًا تفكر بهذه الطريقة فلن يحزنك شيء ولن تهتم لأي أحد لن يعطيك قدرك لأنك أصلًا لم تعمل لأجله، وقليل من الناس من يعيش هكذا لأن كثيرًا من الناس يحسن إلى أهله، يحسن إلى والديه، أو إلى أصحابه، يحسن في العمل ثم لا يجد التقدير فيتوقف عن الإحسان، المفروض أنه لا يتوقف.. لماذا؟ لأنه أصلًا لم يعمل لأجلهم بل لأجل أن يحصل على ثواب هذا الإحسان.

فأهم شيء هل أنت حصلت على أجرك من الله أم لا؟ إذا كنت قد حصلت عليه فالأمر قد انتهى، هذا هو الإخلاص أن تكون أعمالك كلها لله بدون أن تعملها لأجل أي شيء آخر .

ماذا سيحدث إذا أخلصت؟

هل سألت نفسك مرةً ماذا سيحدث لي إذا أخلصت؟ أولًا الإخلاص ليس على درجةٍ واحدة بل على درجات فإذا زاد الإخلاص في قلبك فإنك ستعامل معاملة خاصة من الله تعالى لا كغيرك من الناس، وهذه المعاملة الخاصة تكون في ثلاثة أمور:

أولًا: الحصول على حسنات أكثر

الأعمال الصالحة التي ستفعلها بإخلاص ستحصل مقابلها على حسنات أكثر من غيرك حتى لو كان

هذا الشخص قد عمل مثل عملك بالضبط فستحصل أنت على أجرٍ أكبر.

قال عبد الله بن المبارك "كم من عمل صغير عظّمته النية وكم من عمل كبير صغّرته النية" فالصحابة يفعلون مثل الأعمال التي يفعلها كثير من أهل زماننا هذا ولكن أجورهم أعظم، لماذا؟ لأن الإخلاص الذي في قلوبهم كان أعظم.

قال –صلى الله عليه وسلم– "لا تَسُبُّوا أصْحَابِي، فلَوْ أنَّ أَحَدَكُم أنْفَقَ مِثْلَ أُحدٍ ذهبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَهُ" صحيح البخاري يعنى لو أنفقنا مثل جبل أُحد ذهبًا فلن نساوى في الأجر مثل ما أنفق هو بكمية مُد اليد من الصدقة ولا حتى نصف المُد.

لهذا قال المزني –رحمه الله تعالى– "أبو بكر الصديق ما سبقهم بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره".

ثانيًا: يعامَل معاملة خاصة عند الوقوع في السيئات

المعاملة الخاصة الثانية التي تكون للمخلص: أنه حتى لو وقع في السيئات فإنه يتجاوز عنه أكثر من غيره، له معاملة خاصة حتى إذا وقع في السيئات، قال بعض العلماء: "والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجهٍ يكمن فيه إخلاص فيُغفر فيه الكبائر" كما ذكر النبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– عن البغي من بغايا بني إسرائيل التي سقت كلبًا فشكر الله لها فغفر لها، يقول العلماء: "لقد حضر في قلبها" – في قلب هذه البغي – "من الإخلاص ما لا يعلمه إلا الله تعالى لهذا غُفر لها وإلا فليس كل بغي سقت كلبًا يُغفر لها".

إن من العدل ألا يُعامل الناس جميعًا معاملة واحدة بل كل إنسان يُعامل بحسب قلبه وتاريخه فانظر ماذا تحمل في قلبك أثناء المعصية وعلى أساسها ستكون المحاسبة.

قال بن القيم –رحمة الله عليه– "الكبيرة من الكبائر قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بهذه الصغيرة ما يلحقها بالكبائر بل يجعلها في أعلى رتب الكبائر، هذا أمر مرجعه إلى ما يقوم في القلب".

يقول ابن القيم" "فإنه يُعطى للمُحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لا يُعطى لغيره، ويُسامح بما لا يسامح به غيره" انظر إلى موسى عليه السلام رمى الألواح التي فيها كلام الله فكسرها، وجر لحية نبي وهو هارون –عليه السلام–، ولطم عين ملك الموت، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد –صلى الله عليه وسلم–، وربه تعالى يحتمل له ذلك ويحبه ويكرمه ويدنيه منه؛ لأنه قام لله مقامات عظيمة في مقابلة فرعون وعاتب بني إسرائيل أشد المعاتبة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر.

ولكن انظر إلى يونس عليه السلام حيث أنه لم تكن له مثل هذه المقامات التي كانت لموسى عليه السلام فلما غاضب ربه مرة أخذه سبحانه فسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرْق بين من إذا أتى بذنبٍ واحد ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع

كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

"وكلما كان توحيد العبد أعظم كانت مغفرة الله له أتم" انتهى كلام ابن القيم –رحمة الله عليه–.

ثالثًا: الشعور بالسعادة في الدنيا قبل الآخرة

وأما المعاملة الخاصة الثالثة التي يعطيها الله تعالى للمخلص: فهي السعادة التي سيشعر بها في الدنيا قبل الآخرة، قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–: "مَن كانتِ الآخرةُ هَمَّه جعل اللهُ غِنَاه في قلبِه وجَمَع له شَمْلَه وأَتَتْه الدنيا وهي راغمةٌ، ومَن كانت الدنيا هَمَّه جعل اللهُ فقرَه بين عَيْنَيْهِ، وفَرَّق عليه شَمْلَه، ولم يَأْتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له" صححه الألباني

مواقف السلف الصالح مع الإخلاص:

لقد كان الصالحون في السابق يحرصون ألا يحس بعبادتهم أحد إلا الله، في إحدى المرات بكى أيوب السختياني من خشية الله تعالى، فأخذ بأنفه وقال "ربما هذا زكام" لا يريد أن يعرف أحد أنه يبكي، مرة من المرات بكى وحاول أن يوقف بكاءه فلما لم يملك نفسه قام كي لا يعلم به أحد.

يقول محمد بن واسع: "لقد أدركتُ رجالًا كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وسادة واحدة وهو قد بلَّل ما تحت خده بالدموع ولا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا كان أحدهم يكون في الصف فتسيل دموعه على خديه ولا يشعر به الذي إلى جنبه" الله أكبر.

استمعوا إليهم الآن في المساجد كيف أنهم يصرخون صراخًا بالبكاء والأولى أن يخفي الإنسان طاعته، قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– "إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ التَّقيَّ، الغنيّ، الخفيَّ" صحيح مسلم

خفاء ما يشعر به أحد.

ما المانع أن تخلص لله تعالى؟

إخواني وأخواتي؛ إذا علمنا كل هذا فما المانع أن نخلص لله تعالى؟، إن الإخلاص ليس فيه جهد بدني ولا تعب، أنت لا تحتاج أن تركض من أجل أن تخلص، لأن بقية العبادات تحتاج إلى جهد كالصلاة والصيام، أو إلى نفقة كالصدقة، أو إلى سفر وتعب كالحج، لكن الإخلاص لا يحتاج إلى كل هذا، المسألة تحتاج إلى نية فقط.

ولكن...

توجد مشكلة لدى بعض الناس وهي أنه دائمًا يشعر ويخيل إليه أنه يرائي يرائي، دائمًا يقول له الشيطان أنت لست مخلصًا وهو قد تعب من ذلك فماذا يفعل؟

سنذكر الحل مع علاج كامل لمشكلة الرياء لكن اسمحوا لي أن يكون ذلك في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36